حسن المعاشرة

معالم التّعايش السّلمي في الإسلام

د. عبدالصّبور أبو بكر
أستاذ الحديث بالجامعة السلفية، بنارس

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلوات الله وسلامه وبركاته على نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أوضاع العالم الحاضرة تعاني من اضطرابات شديدة، وصراعات خطيرة بين الناس، حتى أصبح المرء عدوًا للمرء؛ يحل دمه، وماله، وعرضه، ولا يرى له أي حق في البقاء والعيش معه، والأسف كل الأسف أنّ بعض قاصري الفهوم والعقول يعتقدون أن هذه الفتن والفساد سببها الإسلام، والحقّ-كما لا يخفى على المنصف- أن الإسلام بريئ من هذا الافتراء كل البراءة، بل هو محافظ على أمن العالم وسلامه؛ فهو دين عالمي، ورسالته عالمية، وكتابه المقدس(القرآن الكريم) يخاطب البشرية جمعاء كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبأ: ٢٨]. وقال نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم: «كان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة، وبُعثت إلى النّاس عامّة»(١).

وتعاليم الإسلام تُرشِد إلى تكريم الإنسان من غير تفريق بين عربي وعجمي، وأبيض وأسود، وتسعى لإنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٢٨ رقم ٣٢٨) -واللفظ له-، ومسلم (٢/ ٦٣ رقم ٥٢١) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

الاضطراب إلى الاستقرار، وتحثّ أهله على التعايش السلمي، والتعاون والتكافل في جميع شؤون الحياة مع كافة بني آدم على اختلاف أعراقهم، وأجناسهم، وأوطانهم، وأديانهم.

سأتحدّث- بإذن الله تعالى- عن أهمِّ معالم التعايش في الإسلام، وبما أن هذه المعالم كثيرة، قد لا يتيسر عرضها بتمامها في هذه العجالة، فسأكتفي بذكر أهمِّها مستدلا بأدلة الكتاب والسنة، ومستمدًا بأقوال أهل العلم قديمًا وحديثًا. وبالله التوفيق.

معنى المعالم والتعايش السّلمي

المعالم لغة: جمع معلم، والمعلم: ما يُستدَلُّ به على الطريق من الأثر، ونحوه(١). ومنه: الحديث: «يُحشَر النّاس يوم القيامة على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ، كقُرصةِ نقيّ ليس فيها معلمٌ لأحد»(٢) أي: علامة.

وفي الاصطلاح: هي الإمارات التي يعلَم بها المطلوب(٣).

والتعايش لغة: مِن تعايَش يتعايش، تعايشًا، فهو مُتعايش، والتعايش هو: العيش المشترك القائم على الألفة والمودة، ومنه: تعايَش الجيرانُ، أي: عاشوا على المودَّة والعطاء وحسن الجوار، ومنه: التَّعايش السِّلميّ بين الدُّول: الاتّفاق بينها على عدم الاعتداء(٤).

والسِّلْم والسَّلْم (بكسر السين وفتحها): الصلح(٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، والمسالمة: المصالحة.

والتّعايش السّلمي تعبير معاصر، ومعناه في الاصطلاح: العيش المشترك بين الشّعوب والحضارات في جوٍّ من التّفاهم، والتّعاون، والتّضامن، والتّسامح، وتبادل المنافع والمصالح، بعيدًا عن

(١) تاج العروس للزبيدي (٣٣/ ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٩٠ رقم ٦١٥٦)، ومسلم (٨/ ١٢٧ رقم ٢٧٩٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٤/ ٣٢٤)، والنهاية لابن الأثير (١/ ١٨٤).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار (٢/ ١٥٨٣).

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٩١)، والنهاية (٢/ ٣٩٤).

الصّراعات، والنّزاعات، والعنف، والاضطهاد، حتى يسودَ الأمن والسّلام(١).

وعليه فمعالم التّعايش السّلمي هي تلك الأمارات والأصول التي تضمَن العيشَ المشترك مع الصلح والألفة والمحبة بين أقوامٍ يختلفون مذهبًا، أو دينًا، أو بين دولٍ ذات مبادئ مختلفة.

المعلم الأول: نشر الرّحمة والسّلام بين النّاس

الإنسان بطبعه يركن إلى حياة الأمن والأمان والراحة والسلام؛ ليعيش حياة سعيدة بعيدة عن المنغصات والمكدرات، ولا يعرف قدر نعمة الأمن إلا من فقدها، ورأى بأمّ عينيه الظلم، والعدوان، والقتل، والتشريد سائدًا في المجتمع.

والإسلام مشتق من السّلم والسّلام، فهو كان ولا يزال دينَ أمن وسلام، وإخاء ومحبة، وبشير رحمة وطمأنينة، ولذا حرص الإسلام منذ بدايته حرصًا شديدًا على إيجاد بيئة آمنة، والقضاء على الفوضوية والعبث، والتناحر والخلاف، فلا يسمح لأحد باستخدام القوة إلا في حالة الدفاع عن النفس، وإنما يدعو أعوانه إلى التصافح والتعاون، ويقر الألفة بين المختلفين في الأديان، والأوطان، والأجناس، والألوان، واللغات.

ومما يدل على تعزيز هذا المعلم في الشريعة الإسلامية ما يلي:

- كون بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق أجمعين؛ فقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].
- تأكيده صلى الله عليه وسلم على حرمة الغدر والخيانة؛ فعن عمرو بن الحَمِق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أيّما رجل أمَّن رجلا على دمِه ثمّ قتَلَه، فأنَا من القاتل بريء، وإن كان المقتول كافرًا»(٢).

(١) مقال باسم : «التعايش السلمي بين الشعوب والأديان، دراسة تأصيلية تطبيقية من خلال السيرة النبوية» لرشيد كهوس، المنشور في مجلة «أصول الدين» (ص١١٢).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ٣٢٠ رقم ٥٩٨٢)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ٤٥ رقم

• نهيه صلى الله عليه وسلم عن التعرض لدور العبادة والصوامع وأصحابها؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشَه قال: «اخرجوا بسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لاتغدِرُوا، ولاتغُلُّوا، ولاتمثِّلوا، ولاتقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصَّوامع»(١).

• قوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»(٢).

• تأسيسه صلى الله عليه وسلم مجتمعًا قائمًا على التّعايش السلمي بين أفراده أيًّا كان لونهم، وجنسهم، ودينهم، وقبيلتهم؛ فإن المتتبع لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يعلم جيدًا أنه عزّز هذا المعنى جيدًا، وأكد عليه أيما تأكيد منذ هجرته إلى المدينة التي كانت خليطة من قبائل متعددة، ومزيجة من المسلمين، والمشركين، واليهود، والأنصار، والمهاجرين، مع ذلك استطاع النبي صلى الله عليه وسلم على تأسيس مجتمع قائم على التسامح، والتعاون، والمعايشة مع بقية الأديان.

• كتابته صلى الله عليه وسلم الوثيقة مع اليهود؛ ليتم التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم من اليهود، حتى يسود الأمن والسلام في أهل المدينة.

يقول د.شوقي ضيف: «الإسلام دين سلام للبشرية يريد أن ترفرف عليها ألوية الأمن والطمأنينة، ومنتتمة ذلك ما وضعه من قوانين في معاملة الأمم المغلوبة سلمًا وحربًا، فقد أوجب الرّسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين في حروبهم أن لا يقتلوا شيخا ولا طفلا ولا امرأة، وعهده لنصارى نجران من أروع الأمثلة على حسن المعاملة لأهل الذمة، فقد أمر أن لا تمسّ كنائسهم، ومعابدهم، وأن تترك

٣٨)، والأوسط (٤/ ٢٩٨ رقم ٤٢٥٢).
(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٦١ رقم ٢٧٢٨)، وحسنه أحمد شاكر رحمه الله.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٩٨ رقم ٣٩٣٤)، وأحمد في مسنده (٣٩/ ٣٨١ رقم ٢٣٩٥٨)، وابن حبان في صحيحه (١١/ ٢٠٤ رقم ٤٨٦٢) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

لهم الحرية في ممارسة عباداتهم. ومضى الخلفاء الراشدون من بعده يقتدون به في معاملة أهل الذمة معاملة تقوم على البر بهم والعطف عليهم. ومن خير ما يصور هذه الروح عهد عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس فقد جاء فيه أنه «أعطاهم أمانًا لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم... لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم»(١).

المعلم الثاني: المحافظة على كرامة الإنسان

الإسلام يكرم الإنسان، ويفضله على كثير من المخلوقات بالعقل والنطق والتمييز؛ فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء: ٧٠]، وهذا الإكرام والتفضيل عام يشمل جميعَ ولد آدم – مسلمًا كان أو كافرًا، ذكرًا كان أو أنثى، كبيرًا كان أو صغيرًا، عربيًا كان أو عجميًا، أبيض كان أو أسود–، فالإنسان محترم في الإسلام؛ لحرمة آدميته بغض النظر عن دينه، وجنسه، ووطنه، ولغته، ولونه، وهو أصل عظيم من أصول الشريعة الإسلامية.

ومن تكريم الله للإنسان أنه خلقهم على أحسن صورة، ومتعهم بكمالات كثيرة، فلا ترى في الكائنات أحسن منهم قال الله تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [غافر: ٦٤].

وأكد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده احترام النفس الإنسانية، ومراعاة كرامتها، ففي الخبر أن سهل بن حنيف وقيس بن سعد كانا قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من الفرس. فقالا: إن النبي صلى الله

(١)تاريخ الأدب العربي (٢/ ٢٤).

عليه وسلم مرت به جنازة فقام. فقيل له: إنها جنازة يهودي؟ فقال: «أليست نفسًا»(١).

ومن تكريم الله لهم أنه خلقهم من أصل واحد وجعلهم سواسية، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الناس بنو آدم، وآدم من تراب»(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم في حجّة الوداع: «يا أيها الناس ألا إنّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، أبلغتُ؟»(٣).

أما المؤمن فشأنه عظيم؛ لأنه أشد الخلق كرامة، وأعزهم شأنًا، وأرفعهم مكانًا في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فدلت هذه الآيات والأحاديث أنّ الجنس البشري مكرَّم في الإسلام، ومفضَّل على سائر المخلوقات، ولا فضلَ لأحد على أحد إلا بالإيمان والتقوى، وعليه فلا يجوز لأحد أن يمتهن كرامة الإنسان، وينتهك حرمته بأيّ طريق كان، مهما كان عرقه، ولونه، وجنسه، وجاهه، وموهبه.

المعلم الثالث: وجوب العدل وحرمة الظلم

لقد حثّ الإسلام وسائر الأديان والمذاهب على الالتزام بالعدل، وتحري الصدق في الأقوال، والأفعال، والأحكام، والشهادات، وسائر المعاملات؛ لأن العدل قانون رباني قام عليه نظام الكون، وهو في الإسلام واجب لكلِّ أحد مع كلّ أحدٍ في كلِّ حال، فقد أمر الله تعالى المؤمنين بالمواظبة عليه مع النّاس كلهم مسلمين كانوا أو كفارًا، قريبين كانوا أو بعيدين، أصدقاء كانوا

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٥ رقم ١٣١٢)، ومسلم (٣/ ٥٨ رقم ٩٦١).
(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٤٩٢ رقم ٥١١٦)، وأحمد في مسنده (١٦/ ٤٦٥ رقم ١٠٧٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٧٤ رقم ٢٣٤٨٩).

أو أعداء، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[المائدة: ٨]، وهذه الآية نزلت في يهود خيبر الذين أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم(١)، ودلّت على أنه لا يجوز لأحد أن يترك العدل مع أحد ولو كان بعيدًا أو كافرًا.

قال البيضاوي في تفسير الآية:«لا يَحمِلنَّكم شدة بغضكم للمشركين على ترْك العدل فيهم، فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يَحِل، كقَذْف، وقَتْل نساء وصبية، ونقْض عهد؛ تشفِّيًا مما في قلوبكم»(٢).

وقال صاحب الكشاف: «وفيه تنبيه عظيم على أنّ وجود العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظنّ بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه، وأحباؤه؟» (٣).

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٩٦).

(٢) تفسير البيضاوي (٢/ ١١٧).

(٣) الكشاف (١/ ٦١٣).

وقال العلامة رشيد رضا في معنى الآية: «أي: ولا يكسبنكم ويحملنكم بُغْض قوم وعداوتهم لكم، أو بُغْضكم وعداوتكم لهم، على عدم العدل في أمرهم بالشهادة لهم بحقهم إذا كانوا أصحاب الحق، ومثلها هنا الحكم لهم به، فلا عُذْر لمؤمن في تَرْك العدل، وعدم إيثاره على الجور والمحاباة، بل عليه جعله فوق الأهواء وحظوظ النَّفْس، وفوق المحبة والعداوة مهما كان سببهما، فلا يَتوهَّمنَّ مُتوهم أنه يجوز تَرْك العدل في الشهادة للكافر، أو الحكم له بحقه على المؤمن»(٤).

ومن الأدلة الحاثّة على لزوم العدل والإنصاف وترك الإجحاف:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾[النساء: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقد حذّر النبي صلى الله عليه

(٤) تفسير المنار (٦/ ٢٢٦-٢٢٧).

وسلم عن الظلم أشد تحذير فقال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»(١).

والظلم في الإسلام محرم مطلقًا، لا يباح بحال قط حتى في أحرج الأوقات، وأشد الظروف، وخوض المسلمين في الحروب مع الأعداء لا يعني ألبتة الظلم، أو الجور، أو البغي قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠].

ومن أروع القصص على ملازمة المسلمين العدل في القضاء، وعدم الانفكاك عنه بحال ما روي أن يهوديًا اشتكى عليًّا إلى عمر رضي الله عنهما، وكان جالسًا بجانبه، فقال له عمر: «قمْ يا أبا الحسن، قفْ بجانب اليهودي موقفَ القضاء»، وبعد تبرئة علي باعتراف اليهودي، لاحظ عمر على وجه علي تغيرًا، فقال له: «أو قد ساءك أني أوقفتك بجانب اليهودي موقفَ القضاء»، فقال علي: «لا، وإنما خشيت ظنّ اليهودي محاباتي عليه لما ناديته باسمه، وناديتني بـ يا أبا الحسن»(٢).

ومرّ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بشيخٍ من أهل الذّمة يسأل على أبواب الناس، فقال: «ما أنصفناك، أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثمّ ضيّعناك في كبرك» ثمّ أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه(٣).

قال الماوردي رحمه الله: «إنّ مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل، الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمرُ به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان، وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من

(١) أخرجه مسلم (٨/ ١٨ رقم ٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) حقوق الإنسان في الإسلام لعشماوي (٤٥/ ١٩٧).

(٣) الأموال لأبي عبيد (ص: ٥٦ رقم١١٩)، والأموال لابن زنجويه (١/ ١٦٩ رقم١٧٩).

الجور؛ لأنه ليس يقف على حد، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم: أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام»(٢).

وقال غوستاف لوبون أحد أشهر المستشرقين: «وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب، وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحرارًا في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين»(٣).

المعلم الرابع: مراعاة حسن الجوار

من أهمِّ المعالم المحقِّقة للتعايش السلمي: تعزيز حسن الجوار، ومراعاة حقوق الجيران من الأقارب والأجانب، والمسلمين والكفار؛ فذلك أمر ضروري لبقاء المجتمع آمنا، متماسكا، وقد رغّب الإسلام ترغيبًا شديدًا في مراعاة حقوق الجار من الإحسان إليه، وبذل النصح والمعروف له، وحفظ أمواله، ومساعدته بقدر الإمكان، وكف الأذى عنه، وتحمل ما يصدر عنه من الأذى، والعفو عن إساءته، وعدم الاعتداء عليه بأي عدوان.

قال العلماء: الجيران أربعة: الأول: جار قريب مسلم فله ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام. الثاني: جار قريب كافر فله حقان: حق الجوار، وحق القرابة. الثالث: جار مسلم ليس بقريب فله حقان: حق الجوار، وحق الإسلام. الرابع: جار كافر غير قريب له

---

(١) أدب الدين والدنيا (ص: ١٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٦).

(٣) حضارة العرب لغوستاف لوبون (ص: ١٣٤).

حق واحد وهو حق الجوار.

والجار له حق عظيم في الإسلام، فلا يجوز لأحد أن يؤذي جاره ولو كان كافرا، ومهما كان كفره؛ لأن له حقّ الجوار في الإحسان إليه، وترك إيذائه، وهو يعد من البر والإقساط ومكارم الأخلاق التي حث الإسلام على محافظتها، ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦] .

قيل في تفسير الآية: إن ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: الجار الملاصق، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: البعيد غير الملاصق، ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: الرفيق في السفر(١).

وقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»(٢)، وفي لفظ: «فليكرم جاره»(٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، من لا يأمن جاره بوائقه»، يعني: ظلمه وغشمه وشره، وفي رواية: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»(٤). ومعنى أنه ليس بمؤمن أي: أنه ليس متصفًا بصفات المؤمنين في هذه المسألة التي خالف بها الحق.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(٥).

ومن إحسان الصحابة إلى جيرانهم الكفار، ما جاء عن عبد الله بن عمرو

(١) شعب الإيمان (٧/ ٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٠ رقم٤٨) من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٠ رقم ٥٦٧٣) من حديث أبي شريح رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٤٤٤ رقم ٨٨٥٥).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٣٩ رقم ٥٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم (٤/ ٢٠٢٥ رقم ٥٦٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أنه ذبحت له شاة، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه(١).

فهذه الآيات والأحاديث أطلقت الجار ولم تقيده، وعمت ولم تخص جارًا مسلما من جار كافر.

قال القرطبي: «الوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلمًا كان أو كافرًا، وهو الصحيح»(٢).وقال أيضًا: «قال العلماء: الأحاديث في إكرام الجار جاءت مطلقة غير مقيدة حتى الكافر»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والبلدي، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب داراً والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأُوَل كلها ثم أكثرها وهلم جرا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك، فيُعطى كلٌ حقه بحسب حاله وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي، وقد حمله عبد الله بن عمرو أحد من روى الحديث على العموم فأمر لما ذبحت له شاة يهدى منها لجاره اليهودي أخرجه في الأدب المفرد، والترمذي وحسّنه»(٤).

(يتبع)

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٩٦ رقم١٩٤٣)، وحسنه، والبخاري في الأدب المفرد (ص: ٥٨ رقم١٠٥).
(٢) تفسير القرطبي (٥/ ١٨٤).
(٣) المصدر السابق (٥/ ١٨٨).
(٤) فتح الباري (١٠/ ٤٤١).